www.seiraj.com

الأدلة من السنة والأثر على عدم العذر بالجهل في الشرك الأكبر

كتيّب مصوّر

عن عثمان بن عفان، عن النبي ﷺ [مسلم ٢٦]:
«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»

وفيه دلالة أن من جهل التوحيد ومعنى لا إله إلا الله دخل النار، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف ٨٦].
وقال السمعاني: «وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، معناه على القول الأول: إلا لمن شهد بالحقّ، وهو من شهد بلا إله إلا الله، وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ظاهر المعنى، ومعناه: يَشهدون عن علمٍ».



عن عبد الله بن عباس [البخاري ٤٩٢٠]:

«صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ، أما وَدٌّ كانت لكلبٍ بدَوْمَة الجَنْدَل، وأما سُواعٌ كانت لهُذَيْل، وأما يَغُوثُ فكانت لمُراد ثم لبَني غطيف بالجَوْف عند سبإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدَان، وأما نَسْرٌ فكانت لحِمْيَر لآل ذي الكَلَاع، أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العِلم عُبِدَت»

ومعناه أن عبادة الأصنام كانت بعد ذهاب العِلم وحلول الجهل، فالشرك قرين الجهل.



عن عبد الله بن مسعود [الطبراني ٨٧٦٤]:
«ألا لا يقلِّدن أحدكم دينه رجلًا، إن آمن آمن، وإن كَفَر كَفَر؛ فإنه لا أسوة في الشر»

فتأمل قوله: «وإن كَفَر كَفَر»، فجعَل التقليد والمتابعة على الكفر كفر، ولم يعذره بذلك.

عن المُؤَمَّل بن إسماعيل [عبد الله بن الإمام أحمد ٨٥٣]:
«سمعت عُمَارَة بن زَاذَان يقول: بَلَغَني أن القَدريّة يُحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: والله ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون، قال: وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة: أنتم خُصَمَاء الله عزّ وجلّ»

وفيه دلالة ظاهرة على وقوع الشرك من حيث لا يعلم المرء، ويكون مؤاخَذ به.

عن جابر بن عبد الله [أحمد ١٤٩٥٤]:

«قال رسول الله ﷺ: يخرج الدّجال في خَفْقَةٍ من الدين، وإدبارٍ من العِلم»

عن أبي وائل الأَسَدي [خلق أفعال العباد ٨٠/١]:

«كنت مع أبي موسى وعبد الله رضي الله عنهما، فقالا: قال النبي ﷺ: بين يدي الساعة أيامٌ، يَنزل فيها الجهل ويُرفع فيها العِلم»

وإذا أضفنا إليه ما ورد عن أبي هريرة: «قال النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَات نساء دَوْس حول ذي الخَلَصَة طاغية دَوْس التي كانوا يعبُدونها في الجاهلية» [البخاري ٧١١٦]، وعنه أيضًا: «تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر ١-٢]، فقال رسول الله ﷺ: ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا» [الحاكم].

فبمجموع هذه الأدلة دلالة على أن آخر الزمان يعمّ فيه الشرك والجهل.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ [مسلم ٩٧٦]:

«استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»

عن جابر بن عبد الله [أحمد ١٤١٥٢]:

«دخل النبي ﷺ يومًا نخلًا لبني النجّار، فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا في الجاهلية يعذبون في قبورهم، فخرج النبي ﷺ فَزِعًا، فأمر أصحابه أن يتعوذوا من عذاب القبر»

عن أنس بن مالك [مسلم ٢٠٣]:

«أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، فلما قَفَّى دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار»



عن أم المؤمنين عائشة [مسلم ٢١٤]:

«قلت: يا رسول الله، ابن جُدْعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا يا عائشة؛ إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»

وابن جُدْعان كان يأتي ببعض الشعائر في الجاهلية، ولم تنفعه مع الشرك بالله.

وهذه الآثار فيها دلالة على أن النبي ﷺ حَكم لهؤلاء الجاهليين المشركين بالعذاب ولم يعذرهم بالجاهلية الجَهْلاء، ولو كان الجهل عذرًا لعذر به أباه وأمه.



عن أبي أمامة الباهلي [مسلم ٢٩٤]:

«قال عمرو بن عبسة السُّلَمي: كنت وأنا في الجاهلية أظنّ أن الناس على ضَلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهُم يعبدون الأوثان»، وفي رواية: «إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضَلالة، ولا أرى الأديان شيئًا» [البغوي ٣/٣٢٢]

وفيه أن الجهل قرين الضّلالة والشرك.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص [البخاري ١٠٠]:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العِبَاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فضَلّوا وأضَلّوا»

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ لم يَعذر المُقَلِّدَة لرؤوس الجهل، بل وَصَفَهُم بالضّلال.

قال عمر بن الخطاب [شرح السنة للبربهاري ١/٣٦]:

«لا عُذْرَ لأحد في ضلالة ركِبها حسِبها هدى، ولا في هدى ترَكه حسِبه ضلالة؛ فقد بُيِّنَت الأمور، وثَبَتَت الحجة، وانقطع العذر»

عن عمر بن الخطاب [ابن أبي حاتم ١٩١٧٤]:

«أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار ٦]، فقال: غَرَّه واللهِ جَهْلُه»

عن ربيع بن خَيْثَم [ابن أبي شيبة ٣٤٨٦٤]:

«في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار ٦]، قال: الجهل»



عن عمران بن الحُصَيْن [ابن ماجه ٣٥٣١]:

«أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حَلْقَة من صُفْر فقال: ما هذه الحلقة؟ قال: هذه من الواهنة. قال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وَهْنًا»

قال محمد بن عبد الوهاب: «فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يُعْذَر بالجهالة».

ووجه الدلالة أنه إذا كان الرجل لم يُعْذَر بالجهالة في أمر من أمور الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر؟

عن قتادة بن دِعَامة [الدر المنثور ١٩٧/١]:

«﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى ومن بعد ما أراهم من أمر القتيل: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ثم عذر الله الحجارة ولم يعذر شقيّ ابن آدم فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾»

عن خالد بن ثابت الرَّبْعِي [أصول الاعتقاد للالكائي ٢٨٧]:

«بَلَغَني أنه كان في بني إسرائيل شابٌّ قد قرأ الكتاب وعلم علمًا، وكان مغمورًا، وأنه طلب بقراءته الشرف والمال، وأنه ابتدع بدعة فأدرك الشرف والمال في الدنيا، وأنه لبث كهيئته حتى بلغ سنًّا، وأنه بينما هو نائم ذات ليلة على فراشه إذ تفكر في نفسه فقال: هب هؤلاء الناس لا يعلمون، أليس الله عزّ وجلّ علم ما ابتدعته؟ فقد اقترب الأجل، فلو أني تبت. فبلغ من اجتهاده في التوبة أنه عمد فخرق ترقوته، ثم جعل فيها سلسلة، ثم أوثقها إلى آسية من أواسي المسجد، وقال: لا أبرح مكاني حتى ينزل الله في توبة أو أموت موت الدنيا. وكان لا يَستنكِر الوحي من بني إسرائيل، فأوحي وحي الله عزّ وجلّ في شأنه إلى نبي من الأنبياء: إنك لو كنت أَصبت ذنبًا فيما بيني وبينك لثُبت عليك بالغًا ما بلغ، ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فماتوا فأدخلتهم جهنم؟ فلا أتوب عليك»

تم بحمد الله

المحجة

رجب ١٤٤٥ هـ

الأدلة من السنة والأثر على عـــدم العـــذر بالجهل في الشرك الأكبر

منتقى من مذكرة في العذر بالجهل

سراج الطريق

SEIRAJ.COM